الفصل الأول
التجربة الاستعمارية

* إن أى إنسان يدان قانونيّا بعبادة إله غير إلهنا سوف يعدم.
* إن كل من يعمل بالسحر رجلاً كان أو امرأة (أى تكون له صلة أو يلجأ للاستعانة بالأرواح) سوف يُعدم.
* إذا ما قام أى إنسان بسبِّ الرب الأب أو الابن أو الروح القُدس، سواء بالتعبير الصريح أو بالتجريح، أو عن طريق العمد، أو يلعن الرب بأسلوب مماثل سوف يعدم.

تلك مختارات من قوانين الإعدام التى تشكل جزءًا من هيئة الحريات بماساتشوستس لعام ١٦٤١ والتى اشتملت عليها القوانين الاستعمارية لولاية ماساتشوستس.

• نظرة عامة

لقد حدد البيوريتانيون (التطهريون) فى مستعمرة خليج ماساتشوستس اثنتى عشرة جريمة يعاقب فيها المرء بعقوبة الإعدام. والجرائم الثلاث الأولى (المذكورة أعلاه) تتعلق بالأمور الدينية. لقد جنح النظام البيوريتانى فى أوجه إلى النمط الثيوقراطى الذى تعرضنا له فى المقدمة. ففى هذه المستعمرة، سيطرت الكنائس البيوريتانية على الحكومة وحرص البيوريتانيون بشكل جاد على استخدام كل من المنظمات السياسية والدينية فى صياغة رؤيتهم للمجتمع على أساس معتقداتهم الدينية. وكما سنرى فى هذا الفصل، فإن الدين والسياسة تداخلا بشكل كبير وقت المستعمرات، ولكن كان هناك اختلاف جوهرى بين مستعمرة وأخرى.

وقد تباين هذا الاختلاف فيما بين الميل إلى الثيوقراطية فى مستعمرة خليج ماساتشوستس، وبين إقامة الكنيسة الرسمية فى بعض المستعمرات، وبين الميل إلى إلغاء مبدأ الكنيسة الرسمية فى رود أيلاند.

ويتناول هذا الفصل الدين والسياسة فى المستعمرات فى الفترة السابقة للثورة الأمريكية، وسيتناول الفصل التالى الروابط الدينية والسياسية فى عهد الثورة وتأسيس الولايات المتحدة.

ولكى نفهم العلاقات التى ربطت بين الدين والسياسة خلال نشأة الولايات المتحدة، لا بد أن نستعرض أولاً الجذور الاستعمارية المهمة. فقد كان للتجارب الدينية والسياسية فى المستعمرات الأولى أثر على صياغة وثيقة «إعلان الاستقلال» ودستور الولايات المتحدة ودساتير الولايات. وقد أثرت هذه النظم بدورها على مسار التاريخ فى الولايات المتحدة. وكما أوضحنا فى المقدمة، يمكن لكل من الدين والسياسة أن يكونا مصدرين لهما سلطة ومعنىً فى حياة الناس. وكان هذا هو الحال السائد فى المستعمرات.

سوف نبدأ دراستنا بالپيوريتانيين فى مستعمرة خليج ماساتشوستس فَنَصِفُ تراثهم الخاص بالتطور السياسى، ثم ننتقل بعد ذلك لدراسة أهم التطورات التى حَدثت فى المستعمرات البريطانية الأخرى، مثل نمو التسامح الدينى فى رود أيلاند والتعددية الدينية فى مستعمرات الوسط الأمريكى، وضعف المؤسسات الدينية فى مستعمرات الجنوب. وسنتناول بعد ذلك أهم قوتين ساعدتا فى القرن الثامن عشر على صياغة مستقبل الدين والسياسة فى الولايات المتحدة. وهاتان القوتان هما: الصحوة الكبرى (وهى الإحياء الدينى للكالڤينية الإيڤانجليكية، الأمر الذى ما زال يتردد صداه اليوم فى بث التلفاز المسيحى)، والدين العقلانى (الذى يركز على الحجة والمنطق). والأسئلة التالية هى بعض الأسئلة المهمة التى سيتم تناولها فى هذا الفصل.

* ما هو العهد الپيوريتانى؟ وكيف أثر على التطور السياسى للولايات المتحدة؟

* ما هى الروابط التى ربطت بين التنظيم الدينى للپيوريتانيين والحكومة المدنية الخاصة بمجتمعهم؟

* كيف ساهمت أبرشية البيوريتانيين فى نشأة الديمقراطية؟

* ما هى الرؤية البيوريتانية تجاه التسامح الدينى؟

* كيف نشأت التعددية الدينية فى مستعمرات الوسط الأمريكى؟

* ما هى الصحوة الكبرى؟ وكيف أثرت على الدين والسياسة فى المستعمرات؟

* ما هو الدين العقلانى وكيف اختلف عن الدين التقليدى؟

* كيف وحّد الدين العقلانى ودين التَّقَويّة قُواهُما فى الصحوة الكبرى لدعم الثورة الأمريكية؟

وسوف يتخلل هذه الدراسة عدد من القضايا الأساسية. لذا؛ فإنه يتعين على القارئ عند قراءة هذا الفصل ـ وكذلك معظم الكتاب ـ أن يتذكر القضايا التى تتعلق بالعلاقة السليمة بين :

* الكنيسة والدولة.

* الكنيسة والفرد.

* الدولة والفرد.

* الجماعات المختلفة ذات المعتقدات الدينية المتصارعة.

• تقديم موجز لأمريكا المستعمرة

إن المستعمرات التى سنتعرض لها بالدراسة، هى التى أصبحت فى نهاية الأمر الولايات المتحدة الأصلية. لذا كان للتطورات التى حدثت فى تلك المستعمرات أثر بالغ فى صياغة تاريخ الروابط السياسية والدينية فى الولايات المتحدة. كانت تلك المستعمرات كلها بريطانية، على الرغم من أن نيويورك ظلت مستعمرة هولندية حتى عام ١٦٦٤ . وقد سبق مهاجرون آخرون (مثل السويديين) مهاجرى بريطانيا فى بعض المناطق المستعمرة. وعلاوة على ذلك، فإن معظم المستعمرين كانوا فى المقام الأول بروتستانت. ومع ذلك، كانت هناك فى تلك الفترة مؤثرات أخرى غير بريطانية أو غير بروتستانية، أثرت على نشأة الولايات المتحدة كما نعرفها اليوم.

أولاً، حينما جاء المستوطنون الأوروبيون إلى هذه البلاد، كانت قد اكتُشفت واستُعمرت بالفعل. ففى الوقت الذى بدأ فيه الأوروبيون الاستيطان فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة، كان هناك الملايين من المواطنين الأمريكيين الأصليين يعيشون فيها بالفعل. وعلى الرغم من أن تنوع الآراء الدينية لسكان أمريكا الأصليين لم يكن له ـ فيما يبدو ـ أثر مباشر وواضح على الممارسات الدينية والسياسية فى الولايات المتحدة، إلا أنه من المرجح أن يكون الاحتكاك والتفاعل بين المستوطنين الأوروبيين والأمريكيين قد أحدثا ـ على الأقل ـ بعض التأثير على التطورات الدينية والسياسية فى الولايات المتحدة.

ثانيًا، لم يكن البروتستانت البريطانيون هم أول مستوطنين فى العالم الجديد. فقد سبقهم إليه الكاثوليك الإسبان. وأقدم مستوطنة أوروبية دائمة فى الولايات المتحدة هى سانت أوجستين بفلوريدا، التى أسسها الكاثوليك الإسبان فى عام ١٥٦٥. بالإضافة إلى ذلك، انشغل الكاثوليك الفرنسيون فيما بعد بإقامة مستوطنات أصبحت فى النهاية تشكل جزءًا من الولايات المتحدة. ومن ثَمّ، فإن المستعمرات البروتستانتية البريطانية ـ التى أصبحت أصل الولايات المتحدة ـ انضمت إليها فيما بعد المستعمرات الفرنسية والإسبانية. وقد جاء المستوطنون أيضًا من بلدان كثيرة مثل ألمانيا والسويد وهولندا.

ثالثا، خلال الفترة الاستعمارية والفترات التالية، تم جلب آلاف من الأفارقة السود ـ ذوى الخلفيات الثقافية المتنوعة ـ إلى هذه البلاد كعبيد. وقد أثر التفاعل بين المستوطنين الأوروبيين والعبيد والسود على التطور الدينى والسياسى للولايات المتحدة. وكما سنرى فى الفصل الثالث من الجزء الثانى، فقد استخدم ملاك العبيد الدين فى بعض الأحيان كوسيلة لخلق القَبول والإذعان لدى العبيد والسود. ومع ذلك، فقد ساعد هذا الدين أيضًا فى دعم الأمريكيين السود فى سعيهم لتحقيق المساواة العنصرية (مثل الدور الحيوى الذى لعبته كنائس السود فى حركة الحقوق المدنية فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين).

* مستعمرة خليج ماساتشوستس: البيوريتانيون

دوافع المستعمرة

جاء المستعمرون البيوريتانيون - الذين أسسوا مستعمرة خليج ماساتشوستس - إلى العالم الجديد بدوافع دينية إلى حد ما. لقد جاءوا من إنجلترا إلى هنا لكى يحيوا حياتهم بالشكل الذى يتماشى مع رؤاهم الدينية حيث تعذر ذلك فى انجلترا.

لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية قبل القرن السادس عشر هى الكنيسة الرسمية فى أوروبا. وفى القرن السادس عشر، قام رجال مثل لوثر وكالفين بحركة الإصلاح البروتستانتية. وعقب هذه الحركة ظلت بعض الدول - مثل إسبانيا - كاثوليكية، بينما أصبحت الدول الأخرى بروتستانتية. **وفى انجلترا، قام هنرى الثامن لأسباب شخصية(*) أكثر منها دينية بالانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية وإنشاء كنيسة إنجلترا (الكنيسة الإنجليكانية) ونصب نفسه رئيسًا للكنيسة.**

والبيوريتانيون هم البروتستانت الذين أرادوا تطهير كنيسة انجلترا. وبينما أراد بعض البيوريتانيين (مثل المهاجرين الإنجليز الأوائل) الانفصال تمامًا عن كنيسة انجلترا، أراد البعض الآخر الذى استوطن مستعمرة خليج ماساتشوستس أن يستمروا فى التبعية الرسمية لكنيسة انجلترا، بينما يمارسون فى الوقت نفسه معتقداتهم بشأن ما يجب أن تكون عليه الكنيسة. وخلال الحكم العدائى لجيمس الأول وشارلز الأول، رأى كثير من البيوريتانيين أنه من الأفضل لهم الذهاب إلى مكان آخر لممارسة معتقداتهم.. لذا؛ قام البيوريتانيون بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس فى عام ١٦٣٠، وخلال العقد التالى، هاجر أكثر من عشرين ألف بيوريتانى إلى هذه المستعمرة.

وكان بيوريتانيو مستعمرة خليج ماساتشوستس أبرشيين. حيث كان للمستوطنات المختلفة فى تلك المنطقة كنائسها الخاصة التى تقوم على أساس الأبرشية. وكانت كل أبرشية تختار قسيسها وتتخذ قراراتها فى إطار حدود معينة. وَرَبَط جميع الأبرشيات هيكل شامل ومجموعة شبه متماثلة من المعتقدات والممارسات، وكان لا يسمح لأى أبرشية أن تنفصل عن سائر الأبرشيات.

(*) كانت مسألة زواج جديد وطلاق لهنرى الثامن - الناشر.

كان البيوريتانيون ينظرون إلى أنفسهم من منطلق خاص بهم. **فعلى غرار الخروج الجماعى المذكور فى العهد القديم والذى هرب فيه اليهود من مصر ورحلوا إلى أرض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة. أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التى فروا منها. لقد عقدوا عهدًا مع الرب: إنه إذا أمَّن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية.**

ولقد شبه چون وينثروب - أول حُكام مستعمرة خليج ماساتشوستس - المستعمرة بمدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة) تتجه إليها أنظار العالم. واعتبر البيوريتانيون أنفسهم مثالاً يحتذى به العالم. **واستمر هذا النوع من التفكير فى الولايات المتحدة، إذ إن الأمريكيين غالبًا ما يرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة، وهى أن يكونوا مثالاً يُحتذى به فى سائر أنحاء العالم.**

ونظرًا للمكانة البارزة التى احتلتها التجربة البيوريتانية فى أعين العالم، آمن البيوريتانيون بأن الرب سينزل بالمستعمرة أشد عقاب على أى خطيئة. فقد كان العهد عبارة عن اتفاقية أبرمها جميع المستعمرين مع بعضهم البعض ومع الرب، ومن ثَمّ أصبحت هذه الاتفاقية بمثابة عقد ملزم لسائر المجتمع. وقد انعكس هذا العهد على كل من النظم الدينية والسياسية، وكان يتعين على كل من الدولة والكنيسة أن تعضد وأن تحمى كلتاهما الأخرى، بالرغم من كونهما مؤسستين مستقلتين. فالجميع مطالبون بالذهاب إلى الكنيسة وتقديم الدعم المادى لها.

وقد أصبح مفهوم هذا العهد شيئًا مهما فى التاريخ السياسى لهذه البلاد فيما بعد. فعندما وضع المؤسسون الأوائل وثيقة «**إعلان الاستقلال**» كان مفهوم «**العقد الاجتماعى**» مفهومًا مهما: فالأفراد يبرمون عقدًا مع الحكومة يوافقون بمقتضاه على الخضوع لحكمها مقابل حماية حقوقهم الثابتة. وكان العقد الاجتماعى مختلفًا تمامًا عن العهد البيوريتانى، حيث إنه انبثق من كتابات چون لوك أكثر من انبثاقه من أفكار البيوريتانيين. **ومع ذلك، يجب التنويه إلى نقطتين مهمتين على النحو التالى: أولاً، إن لاهوت العهد قد سبق عمل چون لوك، ومن المحتمل أن يكون قد أثر على فكره بشأن العقد الاجتماعى بين المواطنين والحكومة. ثانيًا، لاهوت العهد البيوريتانى قد**

أعد الأفراد للتفكير فى العقد الاجتماعى، فلقد أعدهم للتفكير فى الالتزام بالاتفاقيات والالتزامات التى تتعلق بالرب وأعضاء المجتمع فى مقابل فوائد معينة تعود على الجميع داخل المجتمع. لقد حول العقد الاجتماعى «العهد» من عهد بين الرب والناس إلى عهد بين الأفراد والحكومة.

الانتخاب والمواطنة

وفقًا للعهد البيوريتانى، يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة، ومن ثَمّ نجد هنا اتجاهًا ديمقراطيًا. ويشير كووينج (١٩٧١ : ٣٩) إلى وجود ثلاثة أشكال تقليدية للنظام الكنسى (الأسقفية و المشيخية والأبرشية). وقد ربط كثير من الناس هذه الأشكال الثلاثة على التوالى بالملكية والجمهورية والديمقراطية فى العالم العلمانى. ومن المؤكد أن فكرة أن الأبرشية هى المصدر الرئيسى للحكم فى الكنيسة، قد أثرت على مفاهيم الديمقراطية التى ظهرت فيما بعد. **ومع ذلك، فقد كان يسمح فقط لأعضاء الكنيسة المتمتعين بالعضوية الكاملة بانتخاب الحكومة. وكان هؤلاء الأعضاء يشكلون نسبة صغيرة من إجمالى السكان ألا وهى ٢٠٪ (ميللر وچونسون، ١٩٣٨ : ١٩١)، أو ربما ٨٪ فقط (ريتشلى، ١٩٨٥ : ٥٦)، أو ربما ٦٪ فقط (فاولر ١٩٨٥ : ١٤).**

ولكى يتمتع المرء بالعضوية الكاملة بالكنيسة، كان لا بد أن يُظهر سموًا روحانيًا. ولقد اعتقد البيوريتانيون - استنادًا للكالفينية - أن بعض الأشخاص - المختارين - قد اصطفاهم الرب دون الآخرين لتلقى النعمة الإلهية، أى أن هذا هو اختيار الرب وليس له علاقة بسلوك الفرد. **إن المرء لا يستطيع أن يحقق الخلاص بالأعمال الطيبة، وقد اختار الرب أناسًا ليتلقوا نعمته بغض النظر عن أعمالهم، وبمجرد أن يتلقوا النعمة الإلهية، فإنهم يفقدون حريتهم؛ إذ يتعين عليهم فقط أن يفعلوا ما يأمرهم به الرب. وقد شكل هؤلاء الذين تلقوا النعمة الإلهية جماعة من القديسين الأحياء، وكان عليهم التزامٌ مقدسٌ يتصرفون بمقتضاه.**

ولم يعنِ كون أعضاء الكنيسة قديسين أن يكونوا بلا خطيئة. إن فساد الطبيعة البشرية التى تقوم على أساس فكرة الخطيئة الأولى، كانت هى السمة الثابتة فى الفكر البيوريتانى. لقد آمن البيوريتانيون بأن الناس خطّاؤون بطبيعتهم، وما من أحد يستطيع

تفادى الخطيئة. لذا؛ فإن السلوك الإنسانى تدنسه الخطيئة وتفسده. ومع ذلك، فقد تعين على المجتمع البيوريتانى اتباع القانون الإلهى بقدر المستطاع.

كان جميع أفراد المجتمع أعضاءً فى الأبرشية، وكان من المفروض عليهم الذهاب إلى الكنيسة ودعمها. ومن كان يُسمح لهم بالتمتع بالعضوية الكاملة فى الكنيسة، وبالتالى أن تكون لهم أيضًا كلمة فى الحكومة المدنية، هم فقط هؤلاء الذين استطاعوا بصعوبة إثبات سموهم الروحانى. **وكانت للحكومة المدنية سلطة على جميع أفراد المجتمع، ولكنها كانت تخضع فقط لرقابة هؤلاء الذين يتمتعون بالعضوية الكاملة بالكنيسة.**

التعصب البيوريتانى

لقد فرض البيوريتانيون نوعًا من الامتثال الشديد لمعتقداتهم، لإيمانهم بأنهم أصحاب رسالة، ولأنهم كانوا يريدون استمرار جهودهم فى هذا الاتجاه. وقد أدت جهود الحفاظ على الامتثال الدينى، إلى التعصب والاضطهاد والنفى (جو ستاد، ١٩٩٠ : ٦٥). ويوضح تشيد ستر (١٩٨٨ : ٣٤) أنه بالإضافة إلى التوافق فى الآراء الدينية، كان يتعين على كل فرد الذهاب إلى الكنيسة، وأن يعيش فى جو أسرى وليس بمفرده، وأن يتعلم القراءة ليستطيع قراءة الكتاب المقدس، كما تم بعناية تنظيم سلوك الأفراد الشخصى وملبسهم، وكان من المفترض أن يراقب كل منهم الآخر فى سلوكه الأخلاقى. وينتهى تشيدستر إلى أن هذه الشبكة المحكمة للعلاقات الاجتماعية، جعلت أى خروج عن النمط المتبع بمثابة تهديد للنسيج الاجتماعى بأكمله.

لم يكن البيوريتانيون يؤمنون بالتسامح الدينى، بل على العكس رفضوا تلك الفكرة تمامًا (ميللر وچونسون، ١٩٣٨ ـ ميللر، ١٩٨٩ ـ ريتشلى، ١٩٨٥ ـ تشيدستر: ١٩٨٨). كانوا يؤمنون بأنه يجب ألا يُسمع سوى الحق، وأنه أمر خطير وغير أخلاقى أن يُسمح بالتعبير عن أفكار دينية زائفة. **ولم يكن البيوريتانيون هم الوحيدين الذين يفكرون بهذا المنطق. ففى ذلك الوقت كان تأييد فكرة قبول المجتمع للأديان المختلفة أمرًا نادرًا فى العالم ربما باستثناء هولندا. ولم يكن رفض البيوريتانيين قبول فكرة التنوع الدينى بسبب جهلهم، بل على العكس حيث أكد البيوريتانيون بشكل كبير على ضرورة التعلم، كما يتضح من إنشائهم للجامعات مثل جامعة هارڤارد ويل.**

فلم يأت البيوريتانيون إلى العالم الجديد لممارسة التسامح الدينى، ولكن لممارسة آرائهم الدينية الخاصة بهم. فالحرية الدينية فى أعين البيوريتانيين كانت هى حرية غير البيوريتانيين فى أن يظلوا بمنأى عنهم. وهذا يتضح من النص التالى المقتبس من ناثانيل وارد (١٦٧٤ : ٩٧):

«إننى أتكفل باعتبارى الناطق بلسان نيو إنجلاند بأن أعلن للعالم باسم مستعمرتنا، أن جميع الفاميليست والأنتينوميين والمعمدانيين وغيرهم من المتحمسين، ستكون لهم الحرية التامة فى أن يظلوا بعيدًا عنا، على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن لأن ذلك سيكون من الأفضل للجميع».

ولإيمان البيوريتانيين بأن آراءهم الدينية تمثل إرادة الرب، فقد تباهوا بمعاقبة الآثمين. وارتباك البيوريتانيين فى نهاية القرن السابع عشر - عندما لاقى التسامح الدينى قبولاً أكثر فى العالم - وصفه كل من ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٨٥) على النحو التالى:

«لقد شق عليهم أن يفهموا ما الذى كان يحدث فى العالم، ولم يقتنعوا لمدة طويلة أن هناك أى داع للشعور بالخجل بسبب سجلهم الحافل بجَلْد الكثير من الصاحبيين (الكويكرز) أو معاقبة من يسب الرب ببتر أذنيه أو نفى الأنَتينومَيين أو تغريم المعمدانيين أو إعدام السحرة».

إن نفى كل من التابعين البيوريتانيين - روچر ويليامز وآن هتشنسن - أمر معروف تمامًا. وكذلك سلوك البيوريتانيين أثناء محاكمة سحرة سالم. فى أول الأمر كان المبشرون الصاحبيون (الكويكرز) - الذين جاءوا إلى ماساتشوستس لنشر آرائهم - يتعرضون لمجرد النفى، ولكن عندما استمروا فى القدوم، تم تغليظ العقوبة لهم مثل **بتر آذانهم، أو ثقب ألسنتهم بالحديد الساخن، ثم نفيهم. ولكن هذا لم يوقف النشاط التبشيرى للصاحبيين، لذا أضيفت عقوبة الإعدام**. وقد تم إعدام أربعة صاحبيين على يد البيوريتانيين بين عام ١٦٥٩ و ١٦٦١ (ميللر، ١٩٧٦ : ٤٠). وعندما اتضح أن اضطهاد الصاحبيين قد وصل إلى درجة القتل، فقد تدخل الملك شارلز الثانى فى عام ١٦٦١ وحَرَّم العقوبة الجسدية وعقوبة الإعدام للصاحبيين.

وعلى القارئ أن يأخذ فى الاعتبار مرة أخرى إطار عمل البيوريتانيين، فهم يعتبرون أنفسهم الشعب المختار الجديد فى إسرائيل الجديدة، وقد عاهدوا الرب على أن يقيموا

المؤسسات الدينية والسياسية وفقًا للقانون الإلهى. وكان لابد لهذا المجتمع من القديسين - والذين أخذوا العهد على أنفسهم - أن يظلوا طاهرين لأقصى حد يستطيع تحقيقه البشر. لقد عمل البيوريتانيون بدأب وعاشوا حياتهم زاهدين منضبطين لكى تكون لهم مدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة) لا تفسدها الأديان الزائفة. ولم يكن التعصب الدينى الذى أظهروه شيئًا جديدًا، بل على العكس كان هو الأمر السائد فى معظم أنحاء العالم.

ولكن كما وصفنا فى المقدمة، فإن بعض التحول فى الرؤية البيوريتانية - التى تربط النظام الاجتماعى السليم بالدين السليم - قد بدأ فى الظهور فى أغلب مؤسسات الدين. **وكما سنرى فى الفصل الرابع، فإن كثيرًا من هذه الرؤى قد وجدت فى تسعينيات القرن العشرين طريقها إلى فكر «اليمين المسيحى الجديد».**

تآكل البيوريتانية

بدأت تآكل البيوريتانية المحضة تخبو بحلول القرن الثامن عشر، وبدأ يحل محلها المذهبان الدينيان «العقلى والإيڤانجيلى» باعتبارهما القوتين السائدتين فى الحياة الدينية للمستعمرة. وبعد اختفاء الجيل الأول من البيوريتانيين، فشلت البيوريتانية فى الحفاظ على شكلها وحماسها الأصليين. ففى عام ١٦٨٤، قامت انجلترا بسحب ميثاق مستعمرة خليج ماساتشوستس ووضعتها تحت رقابة الحكومة البريطانية فى الوطن الأم مما أدى إلى إضعاف سلطة البيوريتانيين. وعلاوة على ذلك، فإن فكرة التسامح أصبحت تَلْقَى قبولاً أكثر فى العالم. **وقد كفل قانون التسامح البريطانى لعام ١٦٨٩ التسامح الدينى لجميع البروتستانت.** وفى نهاية الأمر، لم تعد عضوية الكنيسة شرطًا مسبقًا للتصويت على الحكومة المدنية. وعلى هذا؛ فإنه مع تقلص الحماس الدينى، بدأت تتلاشى عضوية الكنيسة.

ويرى كل من ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٢)، أنه بمرور الوقت، بدأت تظهر مشكلة خطيرة تتعلق بفكرة العهد. فمع فتور الحس الدينى، أصبحت هناك صعوبة متزايدة فى التمييز بين المواطنين (أى بالمعنى البيوريتانى الأصلى الذين يتمتعون بالعضوية الكاملة بالكنيسة كشرط للمواطنة) وبين السكان. وعندما حدث ذلك، بدأ الكثيرون يرون العهد

بشكل مختلف. فأصبح بالنسبة لهم عهداً بين الناس أكثر من كونه عهداً بينهم وبين الرب. وقد ساعد هذا على جعل فكرة العهد أقرب إلى فكرة عقد اجتماعى. وقد أضعف هذا من أهمية البيوريتانية فى كل من الأمور الدينية والسياسية.

وعندما بدأ يخبو الشكل الأصلى للبيوريتانية، انتهج بعض زعماء الكنيسة نهجًا عمليًا فى محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا المذهب (كووينج، ١٩٧١ : ١٧). وبسبب فتور اهتمام الأفراد بالعضوية الكاملة فى الكنيسة، تم إدخال ميثاق وسط. وقد حدت هذه الخطة من المتطلبات اللازمة للحصول على العضوية الجزئية بالكنيسة. ولقد حصل المعمدانيون على هذا النوع من العضوية إلى أن يثبتوا تلقيهم للنعمة الإلهية. بالنسبة لكثيرين، كانت هذه هى الغاية النهائية للعضوية. لذا؛ لم يحاولوا الخوض فى المهام الصعبة لكى يثبتوا تلقيهم للنعمة الإلهية. وبالسماح للناس بالعضوية الجزئية بالكنيسة، زادت العضوية بالكنائس. ومع ذلك، فإنه مع سيادة الفكر البيوريتانى فى المستعمرات إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بمكانته. ووفقًا لأحد التقديرات، فإن عشية الثورة الأمريكية، وصل عدد الأعضاء بأبرشيات الكنيسة فى ماساتشوستس إلى ٢٢٪ فقط من إجمالى السكان، وفى جميع المستعمرات الأخرى مجتمعة وصل عدد الأبرشيات إلى الخمس (فينك وستارك ١٩٩٢).

تراث البيوريتانية

يرفض معظم الأمريكيين اليوم سمات معينة للبيوريتانية (مثل المتعصب الدينى). ومع ذلك؛ فإن بعض المعتقدات البيوريتانية كان لها أثر على الثقافة والتطور الدينى والسياسى لأمريكا. لذا؛ سوف نتعرض بإيجاز لبعض من هذه الأفكار.

العهد اللاهوتى والعقد الاجتماعى

كما أشرنا من قبل، فإن فكرة العهد - بمعنى أن البيوريتانيين قد عقدوا اتفاقًا مع الرب ومع بعضهم البعض لإقامة مجتمع وفقًا للقانون الإلهى - قد سبقت، وربما أثرت على آراء جون لوك الخاصة بالعقد الاجتماعى، كما لعبت دورًا مهما فى «**إعلان الاستقلال**». لقد اختلف العقد الاجتماعى فى «**إعلان الاستقلال**» اختلافًا تامًا عن عهد

البيوريتانيين، **ولكنهم هم الذين أرسوا أسس التفكير فى وجود عهد بين الأفراد والحكومة ليكون أساس المجتمع.**

The City upon a Hill and American Destiny

The Puritans came to the new world thinking of themselves as the chosen people with a mission. The new world was the new Israel and the old world was the new Egypt. The Puritans had formed a covenant with God and with each other to build a society based on divine law.

المدينة الفاضلة والقدر الأمريكى

لقد جاء البيوريتانيون إلى العالم الجديد وهم يعتقدون أنهم شعب الرب المختار المكلف برسالة ما، والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة والعالم القديم هو مصر الجديدة. ولقد عقد البيوريتانيون عهداً مع الرب ومع بعضهم البعض ببناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهى. فكان لابد لهم أن يكونوا بمثابة مدينة أعلى التل (أى مدينة فاضلة) تكون محط أنظار العالم أجمع. واليوم يعتقد الكثيرون فى الولايات المتحدة، بأن الدولة مكلفة بمهمة خاصة، ويتعين عليها أن تكون مثالاً يُحتذى به فى العالم أجمع. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هى الأرض المختارة التى أسبغ الرب عليها نعمته. وقد انعكست هذه الرؤية ـ على سبيل المثال ـ فى خطاب الرئيس كلينتون الافتتاحى سنة ١٩٩٧ حينما قال: **«استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، دعونا نوجه أبصارنا إلى أرض ميعاد جديدة».**

الأبرشانية والديمقراطية

فى مستعمرة خليج ماساتشوستس كانت الأبرشيات تقوم منفردة باتخاذ قراراتها، ولكن فى حدود معينة. وكانت هذه القرارات تتخذ بشكل ديمقراطى من جانب الأعضاء كاملى العضوية بالكنيسة. بالإضافة إلى ذلك، كان أعضاء الكنيسة ينتخبون الحكومة المدنية، وكان الأفراد كذلك ملتزمين بالتعلم. فكل فرد ـ على سبيل المثال ـ كان مطالبًا بالتعلم لكى يستطيع قراءة الكتاب المقدس. وقد أسهمت تلك الممارسات فى ترسيخ أسس الديمقراطية فى الحكومة المدنية. ومن ناحية أخرى، اقتصرت المشاركة

الكاملة فى الحكومة المدنية على الأقلية المحدودة المتمتعة بالعضوية الكاملة بالكنيسة. وباستثناء عناصر الديمقراطية التى كانت تمارسها القلة القليلة من أعضاء الكنيسة، **نجد زعماء الكنيسة يرفضون الديمقراطية كشكل حكومة للكنيسة أو للولاية. ويستشهد تشيد ستر (١٩٨٨ : ٣٤) بتصريح الحاكم چون ويثروپ الذى قال فيه: «إن الديمقراطية هى أحط وأسوأ شكل من أشكال الحكومة». وعلى الرغم من ذلك، فإن الأبرشية ربما تكون قد عززت فكرة استطاعة البشر أن يصنعوا قراراتهم السياسية.**

الخطيئة الأولى وحكومة محدودة

لقد آمن البيوريتانيون بأن الخطيئة الأولى وفساد البشر هما واقع الحياة، وقد وجدت هذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية طريقها إلى الثقافة السياسية للحياة الأمريكية. وعلى الرغم من أن «إعلان الاستقلال» لم يؤكد هذه الرؤية السلبية، إلا أن واضعى الدستور - وبالأخص چيمس ماديسون - قد تأثروا بها. وقد نُظِّم مؤخرًا انتقادٌ للتعارض الموجود فى الحكومة الأمريكية، حيث يصعب للغاية - فيما يبدو - تحقيق اتفاق بين جميع أفرع الحكومة لحل مشكلات الدولة. والشروط المسبقة لهذا التعارض قد وضعها المؤسسون الأوائل عمدًا فى الإطار الدستورى وفقًا لهذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية، فقد شكلوا حكومة مقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات. فلم يؤمن المؤسسون الأوائل بوجود ديمقراطية جامحة بدون حدود. لذلك أتاح النظام الذى وضعوه؛ درجة محدودة من الديمقراطية، وحتى هذه الدرجة قيدتها القيود والضوابط.

* المستعمرات البريطانية الأخرى

لم يقتصر وجود البيوريتانية على مستعمرة خليج ماساتشوستس، ولكنها وصلت، بشكل أو بآخر، إلى معظم المستوطنات الاستعمارية الأخرى. وعلى الرغم من أن أكبر تأثير على التطور السياسى والدينى لأمريكا جاء من پيوريتانيى مستعمرة ماساتشوستس، فقد كانت هناك أيضًا تطورات مهمة فى المستعمرات الأخرى.

كان المهاجرون (البريطانيون) الأوائل - الذين استقروا فى پليموث عام ١٦٢٠ - پيوريتانيين من نوع مختلف. فقد تقبل هؤلاء المهاجرون - على سبيل المثال - التنوع الدينى أكثر مما تقبله پيوريتانيو مستعمرة خليج ماساتشوستس (كووينج ١٩٧١ : ٦). وعلى عكس جيرانهم، كان المهاجرون الأوائل انفصاليين، أى أنهم انفصلوا تمامًا عن كنيسة إنجلترا وأقاموا الكنائس الخاصة بهم، بينما احتفظ پيوريتانيو الخليج بالروابط الرسمية مع كنيسة انجلترا.

وكان المهاجرون الأوائل مجموعة صغيرة نسبيًا. ولذا فإنهم كمجموعة، لم يستطيعوا أن يصبحوا قوة مؤثرة وأصبحوا فى أواخر القرن السابع عشر جزءًا من مستعمرة ماساتشوستس الأوسع. وميثاقهم المسمى بميثاق «**ماى فلاور**» معروف تمامًا. وهذا الميثاق الدينى والاجتماعى يُشبه إلى حد كبير العهد القديم الذى ناقشناه سابقًا، فقد وقّع عليه المستعمرون وهم مازالوا على متن سفينة «ماى فلاور» وأصبح هذا الميثاق بمثابة التنظيم الدينى والاجتماعى للمستعمرة.

رود أيلاند والحرية الدينية

لقد وصل روچر ويليامز - وهو قس پيوريتانى - إلى بوسطن آتيًا من انجلترا فى عام ١٦٣١، ونفى رسميًا من مستعمرة خليج ماساتشوستس فى عام ١٦٣٥. وفى يناير عام ١٦٣٦، صدر الأمر بإلقاء القبض على ويليامز وإعادته إلى انجلترا، ومع ذلك استطاع الهروب من المستعمرة. وفى أواخر ذلك العام، اشترى ويليامز بعض الأراضى من السكان الأصليين لأمريكا، وأسس مدينة «پروڤيدنس».

لقد وصف جوستاد (١٩٩٠ : ٦٥ - ٦٦) ثلاثة أمور اختلف فيها ويليامز مع الزعماء الپيوريتانيين وأدت إلى نفيه. أول هذه الأمور هو تأييد ويليامز لفصل الكنيسة عن الدولة من أجل تطهير الكنيسة بشكل أكبر. **ثانيًا**، أراد ويليامز الانفصال تمامًا عن كنيسة انجلترا. **ثالثًا**، أعرب ويليامز عن قلقه إزاء قيام الپيوريتانيين بالاستيلاء ببساطة على أراضى السكان الأصليين لأمريكا دون الاتفاق معهم أو تعويضهم عن الأرض. بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما قال: إن الملك شارلز الأول لا يحق له منح الأرض للپيوريتانيين لأنه لا يملكها أصلاً.

إن تجربتَى روچر ويليامز وورود أيلاند ترتبطان الآن بالتسامح الدينى. ومع ذلك، فإن ويليامز لم يبدأ دعوته على هذا النحو، فقد كانت آراؤه نتاج سعيه إلى تحقيق پيوريتانية أكثر تطهراً من تلك الموجودة بمستعمرة خليج ماساتشوستس، وقد فسر ميللر وچونسون (١٩٣٨ : ١٨٦) تطور ويليامز على هذا النحو:

«لقد تحول ويليامز من پيوريتانى أرثوذكسى، إلى مناصر للحرية الدينية، لأنه اكتشف أن الحقيقة الروحانية هى حقيقة نادرة وسامية وعالية للغاية، وهى جمال لا يمكن تكبيله بكنيسة دنيوية أو مصلحة كهنوتية».

وفى رود أيلاند، قام روچر ويليامز بنشر آرائه الدينية والسياسية. **أولاً**، قام بشراء الأرض من السكان الأصليين لأمريكا بدلاً من الحصول ببساطة على صك ملكية من الحكومة البريطانية. **ثانيًا**، لم يكن هناك كنيسة رسمية فى رود أيلاند لأن الدور الذى كانت الحكومة تلعبه هو توفير النظام الاجتماعى، ولكن لم يكن لها أى رقابة على الحياة الدينية. **إنه روچر ويليامز ـ وليس توماس چيفرسون ـ هو أول من استخدم استعارة الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة، وكان هدفه حماية الكنيسة من فساد العالم (هاو ١٩٦٥).**

وعلى الرغم من قوة معتقداته الدينية، فقد دعا ويليامز إلى الحرية الدينية والفصل بين الكنيسة والدولة. **وكما أوضحنا فى المقدمة، فإن أحد حجج الفصل القانونى بين الكنيسة والدولة هو حماية الدين من تدخل الحكومة.** لقد شعر ويليامز أن جهود الحكومة لإكراه الناس على قبول معتقدات دينية معينة، سيؤدى فقط إلى النفاق. كما شعر أيضًا أن اضطهاد الناس بسبب معتقداتهم الدينية هو خطأ أخلاقى، فالدولة التى تحكمها الديمقراطية ويتوافر فيها نظام عام، لابد وأن ينعم فى مثلها الأفراد بحرية التمسك بمعتقداتهم الدينية.

وبسبب هذه الحرية الدينية فى رود أيلاند، أصبحت المستعمرة تتمتع بالتنوع فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية والپروتستانتية. وقد ساعد ويليامز فى إقامة كنيسة معمدانية، وكان هو نفسه معمدانيًا لفترة ما. وبالإضافة إلى المعمدانيين، فقد كان هناك الصاحبيون (الكويكرز)، وفيما بعد الإنجليكانيون والأبرشيون. كانت هناك آراء پروتستانتية مختلفة، وفى نهاية الأمر، تواجد اليهود والكاثوليك أيضًا فى رود أيلاند.

التعددية الدينية فى مستعمرات الوسط الأمريكى

إن نمط نيو إنجلاند ـ الذى ناقشناه فيما يتعلق بماساتشوستس ـ قد طبق بدرجة كبيرة فى كل من مستعمرة نيوهامپشير وكونكتيكت، ولكن لم يطبق فى رود أيلاند. فى الجنوب كانت توجد مستعمرات كارولينا الشمالية والجنوبية، وچورچيا، وڤرچينيا، وفى الوسط نيويورك، ونيو چيرسى، وپنسلڤانيا، وديلاوير، وماري لاند. احتوت مستعمرات الوسط على أكبر قدر من التنوع الدينى الذى كان له ـ بلا شك ـ أثر بالغ على نمو مشاعر التسامح الدينى خلال القرن الثامن عشر. لقد أسس ويليام پن ـ وهو من الصاحبيين ـ مستعمرة پنسلڤانيا «كتجربة مقدسة». وكان يؤمن بأنه لابد أن يحصل الناس على الخلاص الروحانى بإرادتهم وليس عن طريق كنيسة رسمية، كما آمن بشدة بالتسامح الدينى، وأدخل عن عمد التنوع الدينى فى تطويره لپنسلڤانيا. ولم يكن هدف «پن» هو إنشاء مستعمرة تقتصر على الصاحبيين ـ بل على العكس ـ كان هدفه هو خلق جماعات دينية متنوعة داخل پنسلڤانيا، على الرغم من أنه عمل على فرض آراء الصاحبيين على كل المقيمين فى المستعمرة فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية. وقد عمل بنشاط على هداية الناس. فإلى جانب الصاحبيين، كان هناك المنونيت والأمش واللوثريون الألمان والمصلحون الألمان والمشيخيون الأسكتلنديون والأيرلنديون ومعمديو ولش والميثوديون الأفارقة الأحرار، والكاثوليك الأيرلنديون والربوبيون والإنجليكانيون وغيرهم (جوستاد، ١٩٩٠ : ٩١ ـ ٩٢؛ ميللر، ١٩٧٦ : ٤٩). ساعد التنوع الدينى على حماية الحرية الدينية، وما قد يندهش له البعض هو أن المستعمرة قد ازدهرت.

وقد ظهر التنوع الدينى فى كل من نيويورك ونيوچيرسى بالرغم من الجهود الرسمية المناهضة له. ففى البداية ـ على سبيل المثال ـ استوطنت نيويورك (وهى فى الأصل هولندا الجديدة) شركة غرب الهند الهولندية وأصبحت كنيسة الإصلاح الهولندية هى الكنيسة الرسمية. وكان الهولنديون متسامحين إلى حد ما وغير متشددين دينيّا، وكانت المنطقة بشكل أو بآخر تعج بأشخاص لهم آراء دينية متنوعة. وعندما حاول المدير العام (پيترستويڤسنت) ـ فيما بعد ـ أن يقلل من هذا التنوع (مثلاً باستبعاد اليهود من المستعمرة أو بمعاقبة الصاحبيين)، قامت شركة غرب الهند وأبناء قومه بتعنيفه. وفى عام ١٦٦٤ استولى البريطانيون على هولندا الجديدة، وفى ظل حكم الدوق يورك، أصبحت تسمى نيوريورك. ولفترة وجيزة كان هناك قدر أكبر من التسامح الدينى بسبب التعاطف الكاثوليكى للدوق، ولكن بعد أن أصبح الدوق هو الملك چيمس الثانى وتمت الإطاحة به

فى الثورة المجيدة لعام ١٦٨٨ ، وأصبحت كنيسة إنجلترا فى النهاية هى الكنيسة الرسمية فى نيويورك . ومع ذلك ، لم يستطع حكام نيويورك أن يحققوا الوحدة الدينية عن طريق إقامة الكنيسة الإنجليكانية . فالتنوع الدينى الذى أحبط جهود پيترستويڤسنت استمر أيضًا فى إحباط الجهود المبذولة لخلق كنيسة موحدة (جوستاد، ١٩٩٠ : ٨٥) .

كان الهدف الأصلى من إقامة مستعمرة مارى لاند هو أن تصبح مأوى للكاثوليك ، ولكنها لم تبق كذلك لفترة طويلة . لقد أسس سيسل كالڤرت (لورد بالتيمور) ـ وهو كاثوليكى ـ مستعمرة مارى لاند فى عام ١٦٣٤ وكان هدفه هو جذب كل من الكاثوليك والپروتستانت إليها . ومع ذلك ؛ فسرعان ما فاق عدد الپروتستانت عدد الكاثوليك . **وفى عام ١٦٤٩ أقنع كالڤرت مجلس مارى لاند بإصدار قانون التسامح الذى يكفل الحرية الدينية لجميع الأشخاص الذين يعلنون إيمانهم بعيسى المسيح . وفى النهاية ، سيطر الپروتستانت على مارى لاند واستبعدوا الكاثوليك من تقلد المناصب العامة . بالإضافة إلى ذلك ، أصبحت مارى لاند بعد الثورة المجيدة لعام ١٦٨٨ إقليمًا ملكيًا ، وأصبحت كنيسة انجلترا فيما بعد هى الكنيسة الرسمية لها .**

مستعمرات الجنوب

فى عام ١٦٠٧ كانت أول مستعمرة بريطانية دائمة ـ فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة ـ هى مستعمرة چيمس تاون بڤرچينيا . وقد أنشئت هذه المستعمرة لتحقيق الربح (الذى يُقَوِّى الإمبراطورية البريطانية) والانتشار لكنيسة انجلترا . وقد كانت الكنيسة الإنجليكانية هى الكنيسة الرسمية ، وكان الناس مطالبين عادة بالذهاب إلى الكنيسة والمساهمة فى دعمها . ومع ذلك ، ظلت الكنيسة الإنجليكانية على الأقل خلال النصف الأول من القرن السابع عشر فى غاية الضعف . فلم تكن موارد الكنيسة كبيرة ، وزيادة تكلفة الأرض كانت تعنى ضعف انتشار نفوذ الكنيسة . بالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك قلة فقط من رجال الدين الإنجليكانيين ـ فيما يبدو ـ مجدين فى عملهم ولذلك لم تعط غالبيتهم نموذجًا طيبًا . وبصفة عامة ؛ فإن رجال الدين هم الوحيدون الذين أمكن إقناعهم بترك انجلترا والذهاب إلى ڤرچينيا ، كانوا هؤلاء الذين يرغبون فى الهرب من مشاكلهم (مثل الديون) فى بلادهم القديمة (جوستاد ، ١٩٩٠ : ٤٣) . ولكن الوضع تحسن فى النصف الثانى من القرن ، وأصبح التنظيم الإنجليكانى أقوى . وقد زاد التنوع الپروتستانتى فى ڤرچينيا بعد

صدور قانون التسامح البريطانى فى ١٦٨٩ . وفى القرن الثامن عشر بدأ المعمدانيون والمشيخيون والميثوديون فى التدفق على ڤرچينيا . وبسبب الاضطهاد الذى نجم عن ذلك، ساهمت ڤرچينيا فى ظهور رجال ـ مثل چيفرسون وماديسون ـ أيدوا بشدة الحرية الدينية .

وفى عام ١٦٦٣ وهب الملك شارلز الثانى لبعض مؤيديه الأرض التى سميت بعد ذلك كارولينا والتى قسمت إلى كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية . وكان بناء المستوطنات فى تلك المنطقة بطيئًا للغاية . ويذكر جوستاد (١٩٩٠ : ٩٠) أنه بانتهاء القرن السابع عشر بلغ عدد سكان كارولينا نحو ثمانية آلاف، نصفهم كانوا من العبيد السود . وكان اهتمام ملاك كارولينا بالربح أكبر من اهتمامهم بالدين؛ لذا منحوا الحرية الدينية لكل من جاء للإقامة بالمنطقة . كانت سلطة الكنيسة ضعيفة للغاية فى المناطق الواسعة بكارولينا الأولى، حيث ندرت الإقامة وضعفت الحكومة (آلستروم، ١٩٧٢ : ١٩٦) . فكانت الكنيسة الإنجليكانية هى أول كنيسة فى كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية، ولكن باءت بالفشل الجهود التى بذلت لجعلها الكنيسة الرسمية . كان هناك تنوع دينى (پروتستانتى) كبير، كما كان هناك تنوع ثقافى جعل من الصعب على كنيسة ضعيفة أن تفرض التوحد الدينى .

لم تتأسس چورچيا ـ وهى آخر المستعمرات البريطانية التى أقيمت فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة ـ حتى عام ١٧٣٧ . وبينما كانت الكنيسة الإنجليكانية هى الكنيسة الرسمية، إلا إنها كانت ضعيفة . وعندما حدثت الثورة المجيدة، كان عدد سكان چورچيا صغيرًا وكان السكان متنوعين ومبعثرين نسبيًا .

* الصحوة الكبرى

سيطرت الإمبراطورية البريطانية فى نهاية القرن السابع عشر على جميع المستعمرات . وبينما دعم ذلك من الوضع الرسمى للكنيسة الإنجليكانية فى بعض المناطق، إلا أن قانون التسامح البريطانى لعام ١٦٨٩(*) ساعد فى الحد من قوى

(*) ينص قانون التسامح البريطانى الصادر عام ١٦٨٩ على «حرية العبادة لكل الأديان إلا : الكاثوليك والموحدين» . المصدر : Introduction to : Comparative Government, Michael Curtis "General Editor" ISBN 0-06-041466-9. الترقيم الدولى صفحة ٣٠ الطبعة الثانية - Harper Collins
وبالطبع لسنا فى حاجة لتوضيح أن ذلك القانون، ينحصر تسامحه فى طوائف البروتستانتية ـ الناشر .

التعصب الدينى. وفى القرن الثامن عشر، ظهرت قوتان مهمتان كان لكل منهما تأثير ضمنى قوى على الثورة الأمريكية والحرية الدينية. وسيتناول هذا الجزء الصحوة الكبرى، بينما يتناول الجزء التالى العقلانية الدينية.

سولومون ستودارد (١٦٤٢ ـ ١٧٢٩)

وجوناثان إدواردز (١٧٠٣ ـ ١٧٥٨)

كانت الصحوة الكبرى هى إحياء دينى للكالفينية والإيڤانجيليكة فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثامن عشر. كانت حركة واسعة؛ بمعنى أنها حاولت أن تضم إلى الكنيسة أناسًا لم يكن يُسمح لهم بذلك بمقتضى المعايير البيوريتانية القديمة، ونجحت الحركة فى تحقيق ذلك. وتميزت هذه الحركة أيضًا بالوعظ الوجدانى المؤثر للغاية، فقد كانت الحركة تخاطب الوجدان أكثر من المنطق الدينى. وكانت الحركة الدينية الإيڤانجليكية تنظر إلى الهداية إلى الرب على أنها عملية مفاجئة ومهمة تحدث بسرعة وتغير الشخص من خلال إعادة ميلاده دينيًا.

ويُعزَى كثير من الصحوة الكبرى فى بدايتها إلى الجهود السابقة لسولومون ستودارد، وهو قس أبرشية نورث هامپتون بكونكتيكت (كووينج، ١٩٧١ : ٤١ ـ ٤٥). قام ستودارد أساسًا بتشجيع الناس على الذهاب إلى الأبرشية، وذلك بإلغاء التمييز بين من استطاعوا إثبات تلقيهم للنعمة الإلهية ومن لم يستطيعوا ذلك. فكانت الأبرشية تضم كلاً من هؤلاء الذين حققوا الخلاص وهؤلاء الذين ينشدونه. ولم يفرق ستودارد بين المجموعتين عند المشاركة فى القداس الخاص بتناول العشاء الربانى. وكان الهدف من هذا الأسلوب هو تشجيع الجميع عمليًا على الذهاب إلى الكنيسة ثم هدايتهم إلى الرب.

وكان أسلوب ستودارد فى هداية الناس أمرًا غير معتاد فى ذلك الوقت. ولم يختلف كثيرًا جوهر تعاليم ستودارد عن الأفكار البيوريتانية التقليدية، ولكن أسلوبه كان إيڤانجليًا تبشيريًا. وأسلوب ستودارد يكشفه قوله الذى غالبًا ما يُستشهد به:

«إن الكلمة هى المطرقة التى يجب أن نستخدمها لكسر قلوب الرجال المتحجرة» (كووينج، ١٩٧١ : ٤٣). ومن أجل هداية النفوس إلى الرب، استحضر ستودارد بمهارة وبشكل مؤثر مشاعر الخوف من اللعنة الإلهية من ناحية، وإمكانية دخول الجنة

من ناحية أخرى. فقد أرهب ستودارد الناس أولاً (إن هذا ما سينزله الرب من عقاب على كل من لم يحقق الخلاص)، ثم يبشرهم بعد ذلك بالبشرى الطيبة (ها هى الطريقة التى يمكنكم بها تحقيق الخلاص).

وقد استأنف جزءًا من عمل استودارد حفيده الشهير چوناثان إدواردز المعروف بموعظته الشهيرة «الخطّاؤون بين يدى إله غاضب». بعد وفاة ستودارد خلفه إدواردز كواعظ فى نورث هامپتون. وعلى الرغم من أن إدواردز كان أقل تأثيرًا من استودارد، إلا أنه كان متميزًا فى استخدامه أسلوبًا مؤثرًا للغاية للتعبير عن الأفكار اللاهوتية المتقدمة بطريقة واضحة يسهل فهمها. وقد صنف البعض (مثل نول وآخرون ١٩٨٩) إدواردز كأهم عالم لاهوت فى فترة الصحوة الكبرى.

ويرى ريتشلى أن تأثير إدواردز الأساسى فى السياسية هو قيامه بربط آمال «العصر الألفى السعيد» - الناجمة عن الصحوة الكبرى - بالقومية الأمريكية التى كانت قد بدأت تنمو، وعلى الرغم من أن إدواردز آمن بأن المجتمع الإنسانى مجتمع فاسد، إلا أنه آمن أيضًا بأنه من الممكن من خلال المجتمع المدنى أن تتحقق مملكة الرب على الأرض بشكل تدريجى. وآمن أنه بمرور الوقت من الممكن إحراز تقدم تجاه هذا الهدف. وكان الإيمان بالتقدم التدريجى تجاه مجتمع أفضل له أهمية كبيرة فى معتقدات المسيحيين الإيڤانجليكيين الأمريكيين فى القرن الثامن عشر، كما كان له أثر على الثقافة السياسية. وكما سنرى فى الفصل الرابع، فإن هذا الاعتقاد مازال موجودًا حتى الآن (مثل جهود المبشرين البروتستانت الإيڤانجليكيين فى مجال العمل الاجتماعى).

چورج وايتفيلد (١٧١٤ - ١٧٧٠)

كان چورچ وايتفيلد من أعظم وعاظ الصحوة الكبرى وأوسعهم صيتًا فى جميع المستعمرات. لقد تجول وايتفيلد بين المستعمرات لإلقاء المواعظ فى الفترة ما بين ١٧٣٨ و ١٧٧٠. وقد لعب فى ذلك الوقت دورًا أساسيًا فى الإحياء الدينى لكل من الكالڤينية و الإيڤانجليكية. وكانت رسالته أيضًا أكثر رفقًا من تلك الأفكار المرعبة التى كان يقدمها بعض الكالڤينيين (كووينج، ١٩٧١ : ٦٠).

ومن الواضح أن وايتفيلد كان خطيبًا ساحرًا يأسر ألباب من يستمعون إليه. فصوته القوى كان يصل لآلاف الجماهير المحتشدة لسماعه. لقد أحصى بنيامين فرانكلين عدد الذين يصل إليهم صوت وايتفيلد فى المرة الواحدة بثلاثين ألفًا. وعلى الرغم من أن وايتفيلد لم يكن عالم لاهوت على النحو الذى كان عليه چوناثان إدواردز، إلا أنه كان نموذجًا للوعاظ المهتمين بإيقاظ الشعور الدينى، وقد حمل رسالة الإحياء الدينى إلى الناس بكفاءة غير مسبوقة.

آثار الصحوة الكبرى

جسد إحياء وايتفيلد للشعور الدينى ذروة الصحوة الكبرى، وقد شهد كثير من الناس بأن حركة الإحياء هذه كان لها آثار كبيرة فى المستعمرات. يقول نول وآخرون (١٩٨٩ : ٥٢) إن الصحوة الكبرى كان لها آثار ثلاثة: لقد هدت كثيرًا من المسيحيين الجدد، واستحثت كثيرًا من الكنائس وجعلتها أكثر نشاطًا، وكان لها تأثير على الثقافة الاستعمارية (مثل الاهتمام بشكل أكبر بالتعليم من أجل الأغراض الدينية والعلمانية). ويرى تشيد ستر (١٩٨٨ : ٥٠ ـ ٥٢) أن التَّقَويَّة البروتستانتية (أى تجسيد التجربة الشعورية الداخلية للسلطة الدينية) فى الصحوة الكبرى قد أيدت توزيع السلطة السياسية بشكل ديمقراطى أكبر.

وقد استخدمت حركة القرن الثامن عشر التَّقويَّة Pietism - لتحفيز الثورة الأمريكية. وينتهى كووينج (١٩٧١ : ٢٢٤) إلى أن تعاظم العنصر الإيڤانجليكي فى سكان المستعمرات كان عاملاً حاسما فى الثورة الأمريكية وفى تقنين الحرية الدينية. إننا نستطيع أن نستخلص عدة نقاط من حَجج كل من كووينج (١٩٧١) وهيمرت (١٩٦٦) تشيد ستر (١٩٨٩) لتوضيح كيفية دعم الصحوة الكبرى فى نهاية الأمر للثورة:

- أعطت الحركة التَّقَويَّة للناس إحساسًا بقوة دينية شخصية، وقد أدى هذا إلى الشعور بالقوة الفردية فى سائر المجتمع، وساعد هذا على تدعيم مزيدٍ من الممارسة السياسية الديمقراطية.
- كفاح الأيڤانجليكيين عند اصطدامهم بالمؤسسات الدينية التقليدية من أجل تحقيق الحرية الدينية، وهذا أدى بدوره إلى تأييد الحرية السياسية ودعم استقلال المستعمرات عن بريطانيا العظمى والكنيسة الإنجليكانية.

● هؤلاء الذين قبلوا حركة «العصر الألفى السعيد» ـ أى الاعتقاد فى حدوث تقدم نحو تحقيق مملكة الرب على الأرض، ـ قد حرصوا على تحقيق ذلك بإقامة نظام اجتماعى أفضل.

وما من شك أن الحركة التَّقويّة قد أججت الكثير من الحماس الدينى والوجدانى للثورة الأمريكية، أما الفكر العقلانى فقد أججته حركة مختلفة هى الحركة العقلانية.

الدين العقلانى

التنوير الأوروبى فى المستعمرات

لقد ركز التنوير الأوروبى الذى بدأ أساسًا فى القرن السابع عشر على استخدام المنطق لاكتشاف وفهم القوانين التى تحكم الطبيعة والمجتمع. اشتملت هذه الحركة على مفكرين مختلفين؛ بدءًا من هؤلاء الذين كانت إنجازاتهم الأساسية فى مجال الطبيعة (مثل نيوتن) ووصولاً إلى هؤلاء الذين كانت إسهاماتهم الأساسية فى مجال الفلسفة (مثل لوك). ولتفهُّم جميع مظاهر الكون، سواء ما يتعلق بقوانين الحركة أو قوانين الرب، استخدم هذا الأسلوب المنطق لدراسة وتحليل وفهم تلك المظاهر. وتوقع العقلانيون أن يؤدى منهجهم إلى احراز تقدم بالنسبة لتحسين أوضاع البشر.

ومن الواضح أن الحركة العقلانية الأوروبية كان من الصعب أن يتبعها الشخص العادى الذى يعمل بالمستعمرات. فبالرغم من أن الخلفية البيوريتانية قدَّرت قيمة التعليم وطالبت الناس بتعلم القراءة، إلا أن الشخص العادى فى المستعمرات لم يكن يعرف أو يهتم بمعرفة أى شىء عن تيارات الفكر الثقافى فى أوروبا. ومع ذلك، فقد توافرت للأسر الميسورة الحال نسبيًا كل من الموارد والوقت اللازمين للمشاركة فى التنوير الأوروبى. ويعتبر كل من توماس چيفرسون وبنيامين فرانكلين مثلين رائعين لتطبيق المذهب العقلانى فى كل من عالم الطبيعة (عن طريق اختراعاتهما) والعالم الاجتماعى (عن طريق نظرياتهما السياسية).

ولقد كَوَّن العديد من الصفوة التى تبنت الآراء التنويرية رؤية غير تقليدية للدين، فالدين نفسه كان يجرى تحليله بطريقة عقلانية. وقد أدى هذا إلى ظهور مناهج دينية أطلق عليها «الدين العقلانى» أو «العقلانية الدينية».

تلقى بعض رجال الدين فى المستعمرات تعليمهم فى كليات تعرضوا فيها لفلسفة التنوير، لذا رفض دينهم العقلانى المتحرر النظرة الكالڤينية التقليدية القديمة التى تؤكد على فساد الطبيعة البشرية، وعلى القضاء والقدر، وضرورة التحويل. وعلى عكس ذلك، كان للدين العقلانى رؤية أكثر اعتدالاً للطبيعة البشرية والآمال البشرية، ولم يكن تركيزه على الحياة الأخرى، ولكن على ما يفعله المرء فى هذه الحياة الدنيا. مثلاً: ما الذى يتعين على المرء أن يفعله ليحيا حياة طيبة؟ كيف يعامل الناس بعضهم البعض؟ يقول آلستروم (١٩٧٢ : ٣٥٦-٣٥٨) إنه لم يكن هناك أفكار موحدة فى لاهوت التنوير، ولكن كان هناك أفكار معينة يشترك فيها الجميع على نطاق واسع. **ويصف آلستروم سبع خصائص أساسية «للمسيحية المستنيرة». سوف نتعرض لها هنا بإيجاز.**

١ - أكدت «المسيحية المستنيرة» دور البشر فى تخليص أنفسهم من الخطيئة كما رفضت فكرة القدرية.

٢ - أكدت على ضرورة بساطة المعتقدات المسيحية.

٣ - أكدت على ضرورة مساعدة الناس فى أن يحيوا حياة أخلاقية.

٤ - لم تعط اهتمامًا كبيرًا للأسرار المقدسة والكهنوتية إلا فيما يتعلق بالإرشادات الأخلاقية.

٥ - ركزت بشكل كبير على المنطق، وقللت من أهمية القيود التى تفرضها الظروف التاريخية على البشر.

٦ - أكدت فكرة تقدم الإنسان دينيًا وعلمانيًا.

٧ - نظرت إلى الرب على أنه سلطة غيبية تحكم الكون من خلال قوانين طبيعية وليس إلهًا له طبيعة مادية كطبيعة البشر.

الدين العقلانى والسياسة الثورية

كان من الطبيعى أن يلائم هذا الدينُ العقلانىُّ النظام السياسى الذى يعمل على توسيع السلطة السياسية لكى لا تكون قاصرة على قلة من الناس. إن كلاً من الدين العقلانى وفلسفة التنوير تواءما بشكل كبير مع الطرق الجديدة التى ظهرت لأداء

الأعمال فى ظل رقابة البشر، **أولاً**: كان لابد لهم من الابتعاد عن الطرق القديمة المتبعة فى إنجاز الأعمال، وهذا ما قد تحقق بدرجة كبيرة فى الثورة الأمريكية. ولكن القوة الدافعة للدين العقلانى لم تكن وحدها تكفى لتحقيق الثورة. لقد كان هناك توافق ما بين الدين العقلانى ودين التَّقَوِيَّة والإيڤانجليكية، مثلاً ـ فيما يتعلق بالإيمان بإحراز تقدم تجاه تحقيق بعض الأمور المثاليَة على الأرض ـ وحدت تلك المذاهب قواتها مؤقتًا من أجل الثورة (ميد، ١٩٧٨).

لم تحقق الثورة وحدها أى شىء، ولكن هذه المهمة تحققت فيما بعد عندما أصبح الدستور سارى المفعول. وتغير الدستور بمرور الوقت، ولكن مازال هناك اهتمامٌ بالغٌ بالمعنى الذى ارتبط به فى بدايته. لذا سيتناول الفصل التالى أهداف المزارعين، (أى المؤسسين الأوائل). فى هذه الدراسة سنلقى مزيدًا من الضوء على تأثير الدين العقلانى على هؤلاء الذين صاغوا الهيكل المبدئى لحكومة الولايات المتحدة.

* الملخص والنتائج

لعب الدين دورًا مهمًا فى التطور الاستعمارى لهذه البلاد، وقد استمرت آثار هذا الدور فى التأثير على الروابط الدينية والسياسية فى الولايات المتحدة. ارتبطت الدوافع الدينية بالدوافع الاقتصادية فى إقامة الكثير من المستعمرات الأولى، سيطر الفكر البيوريتانى على شكل الدين فى المستعمرات الأولى، فبعض مظاهر الفكر البيوريتانى (مثل فكرة العهد ورؤية الطبيعة البشرية) وجدت طريقها إلى الثقافة السياسية الأمريكية. حينما خبت سيادة المذهب البيوريتانى الذى جنح نسبيًا إلى التطهر، ظهرت حركتان دينيتان أخريان هما: الصحوة الكبرى والدين العقلانى. وحدت الحركتان ـ بشكل مؤقت ـ قوتيهما لدعم الثورة الأمريكية، وبالتالى أثَّرتا بطرق مختلفة على التطور السياسى الأمريكى. وسننتقل الآن لندرس عن كثب الأهداف الدينية والسياسية لمؤسسى الولايات المتحدة الأوائل.

* * *

References

المراجع

Ahlstrom, Sydney E. 1972. *A Religious History of the American People.* New Haven: Yale University Press.

Chidester, David. 1988. *Patterns of Power: Religion and Politics in American Culture.* Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

Cowing, Cedric B. 1971. *The Great Awakening and the American Revolution: Colonial Thought in the 18th Century.* Chicago: Rand McNally.

Finke, Roger, and Rodney Stark. 1992. *The Churching of America, 1776–1990: Winners and Losers in Our Religious Economy.* New Brunswick, New Jersey: Rutgers University Press.

Fowler, Robert Booth. 1985. *Religion and Politics in America.* Metuchen, New Jersey: American Theological Library Association.

Gaustad, Edwin Scott. 1990. *A Religious History of America.* San Francisco: Harper and Row.

Heimert, Alan. 1966. *Religion and the American Mind: From the Great Awakening to the Revolution.* Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

Howe, Mark DeWolfe. 1965. *The Garden and the Wilderness: Religion and Government in American Constitutional History.* Chicago: University of Chicago Press.

Mead, Sidney E. 1978. "American Protestantism During the Revolutionary Epoch." Pp. 162–180 in John M. Mulder and John F. Wilson (Eds.), *Religion in American History: Interpretive Essays.* Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall.

Miller, Glenn T. 1976. *Religious Liberty in America: History and Prospects.* Philadelphia: Westminster Press.

Miller, Perry, and Thomas H. Johnson (Eds.). 1938. *The Puritans.* New York: American Book Company.

Miller, Robert. 1989. "Religious Conscience in Colonial New England." Pp. 9–24 in James E. Wood, Jr. (Ed.), *Readings on Church and State.* Waco, Texas: J.M. Dawson Institute of Church-State Studies.

Noll, Mark A., Nathan O. Hatch, and George M. Marsden. 1989. *The Search for Christian America.* Colorado Springs: Helmers & Howard.

Reichley, A. James. 1985. *Religion in American Public Life.* Washington, D.C.: Brookings Institution.

Ward, Nathaniel. 1647. "The Simple Cobbler of Aggawam." Reprinted in pp. 95–108 of Perry Miller (Ed.), *The American Puritans: Their Prose and Poetry.* Garden City, New York: Doubleday, 1956.

Wilson, John F. 1990. "Religion, Government, and Power in the New American Nation." Pp. 77–91 in Mark A. Noll (Ed.), *Religion and American Politics: From the Colonial Period to the 1980s.* New York: Oxford University Press.